

الحلف بغير الله وأحكام الأيمان في الإسلام بين التوحيد والانضباط الشرعي



الثلاثاء 16 يونيو 2026 08:00 م

يوضح العلامة الدكتور يوسف القرضاوي أن الإسلام يقرر أن الحلف عبادة قلبية ولسانية لا يجوز صرفها إلا لله وحده، لأن فيها تعظيمًا للمحذوف به، والتعظيم المطلق لا يكون إلا للخالق سبحانه، ولذلك جاءت النصوص الشرعية قاطعة في النهي عن الحلف بغير الله وربطته بجانب خطير يمس أصل التوحيد]

كما يبين أن باب الأيمان في الشريعة ليس مسألة لفظية بسيطة، بل منظومة تربوية عقدية وأخلاقية، تضبط علاقة الإنسان بلسانه وبمسؤوليته أمام الله، وتنقسم الأيمان إلى مراتب مختلفة بحسب القصد والنية والأثر]

حكم الحلف بغير الله وخطورته في ميزان العقيدة

جاء النهي النبوي واضحًا حين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم من كان حالًا فليحلف بالله أو ليذر، وهو توجيه مباشر لحصر الحلف في اسم الله وحده دون سواه من المخلوقات مهما علت منزلتها]

كما ورد التحذير الشديد في قوله صلى الله عليه وسلم من حلف بغير الله فقد أشرك، لأن الحلف في جوهره تعظيم وإجلال، وصرف هذا التعظيم لغير الله يفتح باب خلل في مفهوم التوحيد ولو لم يقصد صاحبه الشرك الأكبر]

ويمتد المنع ليشمل كل صور التعظيم اللفظي لغير الله، فلا يجوز الحلف بالكعبة أو بالنبي أو بالأولياء أو بالأب أو بالحياة أو بالشرف أو بالأوطان، لأن جميعها مخلوقة، والتعظيم التعبدي لا يكون إلا للخالق]

ويرى عدد من علماء المقاصد ومنهم د] يوسف القرضاوي أن التشديد في هذا الباب ليس شكليًا، بل هو حماية مباشرة لجذور العقيدة، لأن الألفاظ المتكررة تصنع مع الزمن تصورًا داخليًا عن التعظيم]

ويؤكد القرضاوي أن كثيرًا من الانحرافات العقدية تبدأ من العادات اللغوية الصغيرة التي يستهين بها الناس، ثم تتحول تدريجيًا إلى ممارسات قلبية تمس جوهر التوحيد دون أن يشعر صاحبها]

ويستشهد النص الشرعي بما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه حين قال لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا، وهو ميزان دقيق في ترتيب الأولويات العقدية]

ويفسر القرضاوي هذا القول بأن المقصود ليس تبرير الكذب، وإنما بيان أن حماية التوحيد مقدمة على كل شيء، لأن الشرك أعظم الذنوب، بينما الكذب مع الإقرار بالتوحيد أخف من حيث أصل الاعتقاد]

أنواع الأيمان وضوابط التعامل مع اللسان

الأيمان في الشريعة ليست نوعًا واحدًا، بل تنقسم إلى ثلاث مراتب رئيسية تختلف في الحكم والنية والأثر، وهي يعين اللغو واليعين الغموس واليعين المنعقدة، ولكل واحدة سياقها الفقهي والتربوي]

يمين اللغو هي ما يجري على اللسان دون قصد انعقاد اليمين، مثل الألفاظ الدارجة التي يستخدمها الناس في الكلام اليومي دون نية حلف حقيقي، وهذه لا يترتب عليها إثم لأنها غير مقصودة

ويرى د¹ يوسف القرضاوي أن هذا النوع يعكس رحمة الشريعة بطبيعة الإنسان، إذ لا تؤاخذ على العفوية اللغوية التي لا يقصد بها إنشاء التزام أو يمين شرعي ملزم

ويعتد هذا المفهوم ليشمل ما يظنه الإنسان حقًا ثم يتبين خلافه، لأنه لم يقصد الكذب ولا الإثم، بل اجتهد في ظنه، ولذلك عده العلماء من اللغو المعفو عنه

أما اليمين الغموس فهي التي يقصد فيها الإنسان الكذب متعمدًا، فيحلف على أمر يعلم أنه غير صحيح، سواء لأكل مال أو إنكار حق أو تضليل الآخرين

وسميت غموسًا لأنها تغمس صاحبها في الإثم في الدنيا، وفي العقوبة في الآخرة، وهي من الكبائر العظيمة التي لا كفارة لها إلا التوبة النصوح الصادقة

ويؤكد القرضاوي أن خطورة هذا النوع تكمن في أنه يدمج بين الكذب وانتهاك اسم الله، مما يجعله اعتداء مزدوجًا على الحق وعلى المقدرات الشرعية في آن واحد

ثم تأتي اليمين المنعقدة، وهي التي يحلف فيها الإنسان على أمر مستقبلي بفعل شيء أو تركه، ثم يخالف ما التزم به بعد انعقاد اليمين

هذا النوع يرتب مسؤولية شرعية واضحة، لأنه قائم على قصد الالتزام، ولذلك أوجب الله فيه الكفارة إذا حصل الحنث، رحمة بالإنسان وتنظيمًا لمسؤوليته

الكفارة والتوبة وأثر اليمين في السلوك الإنساني

الكفارة في اليمين المنعقدة جاءت بنص القرآن بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، وهو نظام يجمع بين العبادة والإصلاح الاجتماعي

ويرى د¹ يوسف القرضاوي أن هذا التشريع يحمل بعدًا تربويًا عميقًا، لأنه لا يكتفي بمحو الأثر الفردي للخطأ، بل يحوله إلى منفعة عامة للفقراء والمجتمع

ويضيف أن الكفارة ليست مجرد إسقاط للعقوبة، بل وسيلة لتربية النفس على عدم التسرع في الأيمان، لأن المسلم حين يدرك تبعات اليمين يصبح أكثر ضبطًا للسان

أما اليمين الغموس فلا كفارة لها، لأنها ليست التزامًا ثم حُوف، بل كذب متعمد منذ البداية، ولذلك كان علاجها الوحيد هو التوبة الصادقة ورد الحقوق إن ترتب عليها ضرر

ويشدد القرضاوي على أن التوبة هنا ليست لفظًا، بل مسار كامل يبدأ بالندم وينتهي بترك هذا السلوك نهائيًا، مع إصلاح ما ترتب عليه من أضرار

كما يؤكد أن الإسلام حين نظم باب الأيمان بهذا التفصيل أراد بناء إنسان واعٍ بكلماته، يدرك أن كل لفظ قد يتحول إلى عبادة أو معصية أو التزام شرعي

ويخلص إلى أن ضبط اللسان في باب الحلف يعكس ضبط القلب في التوحيد، لأن من يقدر اسم الله في كلامه يحافظ على توحيده في عقيدته وسلوكه

خاتمة

يبقى باب الأيمان في الإسلام أحد أهم أبواب التربية العقدية والأخلاقية، لأنه يربط بين اللسان والعقيدة، ويمنع تحويل أسماء الله إلى كلمات عادية، ويؤسس لوعي ديني يحفظ التوحيد ويضبط السلوك في آن واحد